الحجاب الإسلامي
بين الواجب الشرعي والغزو الثقافي

الأستاذ المساعد الدكتور
سؤدد كاظم مهدي
الجامعة المستنصرية
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

الحجاب الإسلامي بين الواجب الشرعي والغزو الثقافي

الأستاذ المساعد الدكتور
سؤدد كاظم مهدي
الجامعة المستنصرية
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة:ـ

باتت قضية الحجاب في العالم الإسلامي منذ أكثر من مئة عام نموذجاً للصراع الثقافي والسياسي بين الحضارتين الغربية والإسلامية، ورأس المرأة المسلمة يدور حوله ذلك الصراع إلى الوقت الحاضر، بينما الواقع العربي والإسلامي يزداد سوءاً وتدهوراً في جميع نواحي الحياة، وتحديداً منذ مطلع الألفية الثالثة، يواجه وحده دون بقية حضارات العالم وأممه، هجمة عنيفة ضد حضارته فكراً، وعقيدة، ونظاماً، واقتصاداً، وأرضاً، وما قضية الحجاب المثارة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي إلا موجة من ما نسميه بالغزو الثقافي الذي يخترق عالمنا لتذوب هويته بوسائل عديدة، كالاحتلال العسكري وتغيير العقول والمناهج عبر الرسائل الإعلامية أو المناهج التعليمية.

يستنكر البعض الجدل الحاصل حول شأن الحجاب والسفور في العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، باعتباره ليس من صميم نهضة الأمة بينما حقوقها منتهكة ومكانتها في العالم تحضراً واستقراراً أكثر من قلقة وبعض أراضيها محتلة [1]. وكان على الأمة ان تغلق باب النقاش حول الحجاب فيما إذا كان يرى في الحجاب شأناً دينياً، أو ما يسمى هويتها ان كان يرى في الحجاب تعبيراً عن الهوية، أو ما يسمى ثقافتها ان كان يعتبر الحجاب ظاهرة ثقافية، حتى تنهي الأمة من انجاز مهمتها في كشف إرهاب الدولتين الأمريكية

والإسرائيلية، والتصدي للعولمة، ومقاومة القهر الدولي في ظل تبعية معظم الدول الإسلامية للدول الغربية اقتصادياً وعسكرياً، ومن ثم النهوض بالأمة والارتقاء بها إلى صفوف الدول المتقدمة والقوية، وحينذاك تستطيع الأمة ان تتحدث وبجدل صاخب حول الحجاب والسفور للمرأة المسلمة.

أولاً: مفهوم الحجاب في الشريعة الإسلامية.

بادئ ذي بدء لابد من الإشارة إلى ان موضوع الحجاب في الإسلام كفريضة إلهية وشريعة ربانية، لا تنفصل عن قضايا تحرير المرأة والمساواة مع الرجل في الحقوق والواجبات مع وجود بعض الاستثناءات لأسباب فطرية، وهو ما يدعى به العكس بعض الدعاة المغاليين والدوائر الاستعمارية والعنصرية المبغضة للإسلام، وهو ما نجده للاسف مجسدا لا في صفحات الكتب، بل في ثقافة الناس العامة، كما في ممارساتهم وتصرفاتهم مع المرأة. فقبل أكثر من(١٤٠٠) عام اعتق النبي محمد ﷺ ودينه الحنيف المرأة من الجهل والجمود التطرف الذي كان ولا يزال يهدد الإسلام، ليفتح عينيها على النور والعلم والعقل، فكان الإسلام مثال الأديان في موقفه الايجابي من المرأة وحقوقها الإنسانية، فهو لا يعارض التجديد بمعناه الحقيقي والحضاري، بقدر ما يعارض عبادة الموضة والتأثر بالغرب والتقبل بدون تدقيق عادات وتقاليد الغرب الذي يظن البعض انها مصدر سعادة شعوب الشرق.[٢]

وعلى هذا الأساس وجد الإسلام بان القواسم المشركة التي تجمع ما بين الدين الحنيف ومصالح وتقدم ونهضة الأمة، لا تتم الا بعد نهضة المرأة التي هي نصف المجتمع بحكم تأثيرها في أسرتها ومحيطها، وكان ذلك قد ارتكز على أسس عديدة كان أولها فر الحجاب على كل مسلمة كواجب شرعي، ليعكس من خلاله عفة وطهارة المجتمع الإسلامي كما حدد ذلك القران الكريم في آيتين صريحتين ومفهومتين بقوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٣]. وقوله تعالى أيضاً ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[٤].

ومع ان الإسلام اكد على حجاب المرأة ودورها الرئيس في رعاية وتنظيم الأسرة، لكن في الوقت نفسه لم يفرض عليها ان تقبع وراء الأبواب الموصودة بعيدا عن ميادين الحياة الحقيقة كالعلم، والعمل، والسياسة، والإبداع، والمشاركة في بناء مستلزمات تقدم الأمة، فقد فرض العلم على المرأة عندما قال النبي محمد ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم"أي كل مسلم ومسلمة، وان حرية المرأة ودورها مستقل وكامل كاهلية الرجل في التملك، وإجراء العقود وكافة التصرفات، عندما قال النبي ﷺ ((إنما النساء شقائق الرجال))[٥]. كما ان لدينا المساواة ذاتها في مجال الإيمان والعبادات، والأخلاق، والمعاملات وسار الأحكام الشرعية، وان لا فرق بين المرأة والرجل الا ما خصص استثناء لكل منهما لحكم واعتبارات واقعية وفطرية كما ورد في الآية الكريمة بقوله تعالى:-"

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٦].

كما يحق للمرأة ممارسة جميع الاعمال التي يمارسها الجل بشرط الالتزام بأحكام الشريعة والآداب الإسلامية، لاسيما فيما يخص الحجاب والحياء وفي هذا الصدد لابد من ذكر ان هناك اعمال تجب أصلاً على الرجل ولكن يحق للمرأة ان تشارك فيه كالجهاد، وصلاة الجماعة والجمعة. أما بالنسبة للحقوق السياسية للمرأة فلها جميع الحقوق والسياسية المقرة للرجل، باستثناء الدولة

(الامامة العظمى)، والقضاء وإقامة الصلاة للجنسين. وأما ما عدى ذلك فيحق للمرأة ان تمارس حقوقها السياسية كاملة في ابداء الرأي، وحرية التعبير والمشاورة، والشورى والانتخاب، والاجتماعات السياسية، [٧]ولكن ضمن الأحكام الشرعية لها. كما ورد في الآية الكريمة بقوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٨].

ومما سبق يتبين لنا ان الفكر الإسلامي بقرانه الكريم وسنته النبوية الشريفة ومصادر تشريعه، حقق بشموليته ونظامه ودقته للمرأة المسلمة ما تباهي بها نساء العالم قبل أكثر من(١٤٠٠) عام، أي قبل إعلان الدساتير الحديثة ومواثيق حقوق الإنسان التي جاءت لتؤكد على حقوق المرأة وحريتها في المجتمع ولذلك كان الحجاب الذي هو جزء من الدين، وليس رمزا إسلامياً، واجبا شرعياً، وان عدم الالتزام به يمثل خطيئة ككل الخطايا، بل وجد النبي محمد ﷺ ان دم الالتزام به يقترن مع اشتداد طغيان السلطة الحاكمة في الدول الإسلامية في حديثة الشريف قائلا:-

"صنفان من امتي لم أرهما قط، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها ظهور الناس، ونساء كاسيات عاريات..."[٩].

ثانياً: تاريخ الحرب على الحجاب:

مر أكثر من مئة عام على ظهور أول لانصار التيار التغريبي ضد حجاب المرأة المسلمة، ومنذ ذلك الوقت لم تهدأ قضية الحجاب في مناطق كثيرة من العالم الإسلامي وغير الإسلامي، كانت الشرارة الأولى التي اشتعلت نيرانها في تلك القضية قد أطلقها قاسم امين بعد عودته من إتمام دراسته في فرنسا عام ١٨٩٩، عندما اصدر بعنوان "تحرير المرأة" يدعو فيه إلى خلع الحجاب،

فاحدث ردود فعل شديدة من قبل التيار الإسلامي، الذي رد عليه بعشرات الكتب لاثباط دعاويه وأفكاره، ومن الملفت للنظر ان احد قادة الحركة الوطنية في مصر حينذاك وقف ضد افكار قاسم أمين، عندما انبرى مصطفى كامل بالرد عليه. كما كان موقف الملك فؤاد لا يقل شانا عن موقف مصطفى كامل، فعندما استضاف أما من الله ملك افغانستان، وكانت زوجته ثريا سافرة، الغى الملك فؤاد الزيارة، ثم وافق على شرط ان تكون اقامة الملك ثريا غير رسمية ولا تظهر سافرة ابدا حتى تغادر مصر[١٠].

وعلى الرغم من تفوق التيار الإسلامي والمحافظ وضعف وجود انصار التيار التغريبي لخلع الحجاب في مطلع القرن العشرين، الا ان جملة من العوامل الأساسية ساعدت التيار التغريبي في تعزيز موقعه وتحديدا في قضية الحجاب، ولعل ابرزها ظهور دول علمانية في اكبر دولتين إسلاميتين مجاورتين للامة العربية وهما تركيا وايران، اذ فرض كمال اتاتورك في تركيا خلع الحجاب بالقوة عام ١٩٢٥، والغى شاه ايران رضا بهلوي الحجاب الشرعي، وبدا بزوجته فخلع حجابها[١١]، ولعل الأمر الأكثر خطورة في هذه القضية، قد تجسد فعليا على ارض العالمين العربي والإسلامي عند سيطرة القوى الاستعمارية الأوربية على معظم الدول العربية والإسلامية، التي بهرت بتقدمها الصناعي والتكنولوجي الطبقة المصقفة، فاوجد لديهم حالة من الانهزام ام النفسي لدى الكثير منهم، كما كان السيطرة انصار التيار التغريبي على المناهج التعليمية والبعثات العلمية إلى الدول الأوربية فضلا عن وسائل الاعلام كالسينما والمسرح والصحافة دورا في ذلك.

ومع رحيل الاستعمار الأوربي وتغير لأنظمة الحاكمة، لم يتغير الوضع كثيرا، فلم يعرف خلع الحجاب الا عند بعض المثقفين المتغربين ومن قلدهم، ولكن في ظل تصادم معظم أنظمة الدول المستقلة حديثا مع الإسلاميين في فترة

الخمسينيات والستينيات، وانتشار المد الشيوعي إلى الدول الإسلامية، ظهر تفوقا واضحا للسفور، وانتشر خلع الحجاب خاصة في المدن، نتيجة لنجاح سياسة الفكر الغربي في بناء قاعدة قوية موالية له في مجالات التعليم والصحافة والفن، لاسيما مع ظهور التلفزيون وانتشاره. وكان ذلك امام ضعف المؤسسة الدينية نتيجة كبت حريتها والاعتقالات التي نالت معظم رموزها(١٢).

وفي عقدي السبعينيات والثمانينيات شهد الناس عودة إلى الإسلام، وكان ذلك نتيجة لفشل الحكومات العلمانية بتحقيق اهدافها الوطنية والقومية، تحديدا مع هزيمة عام ١٩٦٧ في مصر، وفشل العرب في تحقيق أي نجاح للقضية الفلسطينية، وقيام الثورة الإسلامية في ايران عام ١٩٧٩، بعد الاطاحة بنظام محمد رضا بهلوي العلماني، فعاد التيار الإسلامي إلى الشارع مجددا وبدات الدعوة عن طريق المنابر واشرطة الكاسيت إلى الدعوة لتنفيذ الاحكام الشرعية للإسلام، ومنه حجاب المرأة المسلمة، الذي شهد تراخيا واضح من النساء حينذاك. الا ان التيار التغريبي الذي ازدادت قوته مع انفتاح الدول على الغرب سياسيا واقتصاديا وثقافي جعل الحرب مستمرة ولم تتوقف(١٣).

ثالثاً: الحجاب في مواجهة تحديات العصر:

١ـ العلمانية:

كما مر بنا سابقا تمثل الحركات العلمانية أو التغريبية من قوى التحديات التي اثرت في قضية الحجاب في العالم الإسلامي في القرن العشرين، ويرجع ذلك إلى ايمان بعض المثقفين العلمانيين بضرورة نقل ثقافة وآداب الحضارة الغربية إلى المجتمعات الإسلامية للارتقاء بصفوف المسلمين إلى الامم القوية، من نهضة وتقدم وحرية، وقد تبلور ولاء التيار العلماني للغرب واضحا في قضية تحرير المرأة ونزع حجابها، حتى دفع احد المفكرين العرب المعروفين

بولائهم لغرب، للدعوة إلى الضرب بعرض الحائط بما قيد الله به الفرد والمجتمع من احكام الحلال والحرام، اذ يقول سلامة موسى المعروف بانجرافه للتيار العلماني:-

"انا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب، يجب علينا ان نخرج من اسيا ونلحق باوربا، وان يكون رباطنا بها قويا، نتزوج من ابنائها وبناتها، وننظر للحياة نظرتها، نتطور مع تطورها الصناعي ثم تطورها الاجتماعي، ونجعل ادبنا يجري وفق اادبها بعيدا عن منهج العرب، ونجعل فلسفتنا، ونؤلف عاداتنا على غرار عاداتها"[١٤].

بيد ان مع انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية تسعينيات القرن العشرين وتلاشي الخطر الشيوعي، تقم التيار الإسلامي إلى الشارع وشهدت قضية الحجاب انتشارا واضحا بين المسلمات، حتى بات الحجاب الذي يرى فيه الاستراتيجيون العلمانيون في اوربا رمزا للقلق على المبادئ العلمانية ذاتها في معقل العلمانية [١٥]. ويبدو ان العلمانية كعقيدة وممارسة تشهد تحولا مهما في مبادئها الأساسية، منذ انطلاقها في القرن الخامس عشر الميلادي، اذ بدات اوربا العلمانية ومنذ مطلع الالفية الثالثة تقلق من الطقوس والشعائر الدينية الإسلامية وابرزها قضية الحجاب، على اعتبار ان الإسلام سيهدم مرتكزات الحضارة الغربية لما تحيوي من ثقافة وقيم وعقيدة، وان هذا الخطر سيمتد ليطوق الامن والسلام العالميين كما ترى ذلك [١٦].

وبالتالي فان قضية الحجاب في اوربا وبالتحديد في فرنسا [١٧] التي اثيرت فيها قبل غيرها من الدول الأوربية، تعود إلى أسباب عديدة تقف في مقدمتها الاشكالية التي تواجهها فرنسا في كيفي الحفاظ على منهجها العلماني من جهة، والضغوط التي تمارسها لتقليل الصيغة الدينية فيما يتعلق بالمسلمين وغيرهم من الديانات الاخرى، فاوربا التي يعيش فيها كا

يقرب الـ(٣٠) مليون مسلم، منهم (٦) مليون في فرنسا، تجد نفسها الان يثيرها التضارب في مدى قدرة العلمانية كوعاء لاستيعاب التقاليد الإسلامية فيها، وهي التي ظلت سنوات طويلة تمارس حظورها كوعاء حاضن للاختلاف والتعدد[١٨]، وهو الامر الذي يجعلها تقلق من امرين:الاول التخوف من ان تتاثر اوربا المسيحية بالتقاليد الإسلامية، والثاني ارتباط الصورة الذهنية للمسلمين في اوربا بالعنف والارهاب، لاسيما بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١.

ولذلك فان الامرين يدفعا العلمانية إلى مراجعة نهجها وإستراتيجيتها في التعامل مع اشكالية الاقلية المسلمة في اراضيها، ولذلك فان اخطر ما تضمنته موافقة جاك شيراك الرئيس الفرنسي على تبني قانون يحظر ارتداء الحجاب الإسلامي في المدارس والمؤسسات الحكومية، في راي العديد العلمانيين الأوربيين هو تحويل العلمانية إلى عقيدة دينية تحدد للمواطنين ما يجب ارتدؤه وتحرم عليهم ما لايجب ارتداؤه، هذا علما ان المبادئ الأساسية التي جاءت بها العلمانية إلى الحكم، هي تعزيز الحريات العامة وحقوق الانسان، التي كانت مصادرة قبل ذلك في ظل أنظمة الحكم الثيوقراطية، بذلك يتبنى القرار الفرنسب بخلع الحجاب في فرنسا إلى جانب الرموز الدينية الاخرى، رؤية عنصرية تستهدف فئة اجتماعية دون غيرها من فئات المجتمع الفرنسي، خلافا لروح القوانين والدساتير الحديثة والمعاصرة التي تدعو إلى المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات[١٩].

٢ـ العولمة الثقافية:

تمثل العولمة الثقافية اقوى التحديات الخارجية التي تواجه الهوية الإسلامية في الوقت الحاضر، كفكر، واخلاق، وقيم، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي تركزت انظار الدوائر الأمريكية على ان الإسلام يمثل اكبر التحديات الجدية

على مرتكزات السيطرة الغربية الثقافية مستقبلا، طالما ان الصراع العالمي المقبل سيكون مصدره الأساسي ثقافيا حضاريا وترسيخا لهذا الاتجاه المادي راحت الدوائر الرسمية الأمريكية ووسائل الاعلام الغربية، مدفوعة من الصهيونية، بالترويج لمفردات معينة ورباطها بالإسلام، مثل الارهاب، والتطرف، الفتنة، والجهل والتمييز المذهبي، والعنصرية والاضطرابات. كما توجهت وبعد احداث١١ ايلول ٢٠٠١ بحملة مسعورة ضد الإسلام تحت ما يسمى بالحرب ضد الارهاب، بدعوى الدفاع عن حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والديمقراطية والتطرف الديني، وهي مسميات مطلوبة أساسا تغيرها في الواقع الإسلامي[٢٠].

ولهذا الحملات قادة ومفكرون يمتلكون من أسباب التقدم المادي والثقافي والتقني ما يجعلها تنفذ خططها في السيطرة الفكرية والثقافية الشاملة على العالم، ويرجع ذلك إلى تعدد وسائل الاتصال وتنوعها واقبال الناس على اقتناء هذه الوسائل من جهة اخرى، التي سيكون لها دور كبير لاثبات الهوية الغربية. وافساد العقول بالمبادئ البعيدة عن تكوين المسلمين الثقافي والعقائدي، ويبدو ان الفرصة سائحة لتذويب وتفكيك الهوية الإسلامية، من تطور أمريكي لامرين مهميين: الال في ظل مناخ الضعف والتمزق الذي يسود الإسلامي، والانفلات من أحكام الشريعة الإسلامية، والثاني حالة العداء ضد الإسلام المعنونة بالحرب ضد الإرهاب، والحرب ضد الحجاب التي بدأت تباشيرها في فرنسا، ستكون مدخلا مهم في أوجه الصراع ضد الإسلام بأشكال مختلفة، وتفكيك هوية المرأة المسلمة، لكي يبقى الوجه الغربي سائدا وظاهرا في المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي[٢١].

ثالثاً: كسر الطوق المضروب حول الحجاب.

١ـ تجديد الفهم للدين بثوابته ومتغيراته

وتعني تنقية اذهان الناس من رواسب التخلف والانحطاط التي لحقت بها خلال القرون السابقة، وليس المقصود بالتوجه نحو الدين نفسه كقاعدة للقيم والعقائد الكبرى، وذلك من خلال اعادة تفسير النصوص الاصلي للدين في ضوء معطيات العصر القائم، ومنها على سبيل المثال حقوق المرأة وواجباتها، التي قصد الدعاة والعلماء في الدعوة بين اوساط النساء بخطاب رتيب ومكرر يفتقد للجاذبية والابداع والتجديد، وهو ما يقودنا إلى اعداد رؤية شاملة للدعوة في الوسط النسائي للتذكير بطاقات المرأة المسلمة ومجالاتها المفتوحة في ضوء الواجب والاحكام الشرعية لها. وان الحجاب للمرة لايمنعها من ان تجمع بين الحداثة والإسلام التي ارادها ان تكون مسلمة وقادرة على التعامل مع ادوات العصر وتقنياته(٢٢).

٢ـ الخروج من دارة التقليد.

أي من الضروري ان نفرق بين القيم الأساسية التي يدعو ديننا إلى التمسك بها والتفاعل الايجابي مع الاعراف والتقاليد والاجتهادات البشرية التي نهضت بالامم إلى مستواها الحضاري، ونعني ازالة غشاوة النظر التي تمنع من التفاعل المطلوب بين الدين والاتجاهات البشرية، وقضية حجاب المرأة من اولويات هذا الموضوع، فقد حذر العديد من العلماء من مظاهر تقليد الغرب بمظاهره المزيفة، ومصطفى كامل ذلك الزعيم الوطني يشير إلى هذه الظاهرة منذ العام ١٨٩٩ في اثناء رده على كتاب قاسم امين، اذ يقول:-"فلا يليق بنا ان نكون قردة مقلدين للاجانب تقليدا اعمى، بل يجب ان نحافظ على الحسن من اخلاقنا، ولا ناخذ من الغرب الافضائلة، فالحجاب في الشرق عصمة أي

عصمة، فحافظوا عليه في نسائكم وبناتكم، ، وعلموهن التعليم الصحيح، وان أساس التربية بدونه تكون ضعيفة وركيكة هو تعليم الدين[٢٣].

٣ـ الخروج من دائرة الإحباط النفسي.

مع كثرة الهزائم والنكسات السياسية التي يشهدها العالم الإسلامي، ازداد التخبط والاضطراب والاستعداد النفسي والفكري للتنازلات، وبدا ذلك المسلسل من المسلمين سواء كانوا في العالم الإسلامي أو غير الإسلامي، والتي تنتهي بحكم علماني واضح، وهو ما شكل قوة نفسية للعالم الغربي غيريهم بالجرأة على تحدي الإسلام والمسلمين، وفي قضية الحجاب في فرنسا وموقف الشيخ الطنطاوي شيخ الأزهر، مثلا لذلك، فكانت لفتواه الصدمة الكبرى في خروجه عن الرأي المخالف للإسلام، عندما أعطى لوزير الخارجية الفرنسي الحق في منع الحجاب في فرنسا بقرار رسمي ومهما بذل المسلمون من تنازلات فلن ينالوا رضاهم أبداً :كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[٢٤].

٤ـ الثبات أمام تحديات العصر

وهي الدعوة إلى ثبات المسلمين على دي الله ايمانا وعلما، وبلاغا والتوقف عن التنازلات بدون علم أو خشية من الله، فالإسلام هو مصدره قوة المسلمين وسبب حضارة العرب، وان الافكار الأمريكية عن الاصلاح الديمقراطي، وحقوق المرأة، وتغير مناهج التعليم، والخطاب الديني الجديد، هي جميعها مطلوبة أساسا تغيرها في الواقع الإسلامي ضمن منظور إسلامي متجدد، من خلال فهم ضرورة الاصلاح الداخلي باجماع الأمة ومتطلبات العصر وتحدياته، لكي لا يبقى على الامريكي أو الأوربي ذريعة بضرورة اجراء

الاصلاحات الديمقراطية بالقوة العسكرية أو بالضغوط السياسية والاقتصادية، التي تهدف إلى رسم وبناء الحضارة الإسلامية وفق رؤية امريكية، تقوم على تفكيك وتذويب الهوية الإسلامية التي لا تملك بدورها رؤية بديلة غيرها[٢٥]، ومن هنا فان العالم الإسلامي يمر بمرحلة خطيرة في تاريخه، فاما ان يصمد واما ان يستبدله الله استبدالا، كما في قوله تعالى:- ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٢٦].

٥ـ دور المؤسسات التربوية وتتلخص بما يلي.

- اعداد كوادر للعمل الاعلامي وذلك في مراجل التعليم كافة والجامعية خاصة، مع عدم اغفال البعد الديني في هذه العملية، ويقتضى ذلك ان يشارك أساتذة في التربية والشريعة في وضع الخطط الدراسية لكليات الاعلام.
- قيام علماء التربية بكشف أهداف الغزو الثقافي في شاشات التلفزيون والفضائيات ووضع مقررات دراسية توضان تعرض البرامج والمواد الإعلامية المستوردة من الخارج على لجان متخصصة ح مخاطر الغزو الثقافي على الأمة.
- ان تعرض البرامج والمواد الإعلامية المستوردة من الخارج على لجان متخصصة من أساتذة التربية والإعلام لكي يبدو رأيهم فيها قبل ان تقدم للمجتمع [٢٧].

الخاتمة:ـ

♦ إن ما جاء من أوامر ونواه في آية الحجاب الواردة في آية الحجاب في سورتي النور والأحزاب من القران الكريم. كان موجها بشكل خاص

لمن اتصفت بالإيمان من النساء اللواتي يستجيبن دون رفض أو نقاش أو تردد أوامر الله تعالى.

- ان الهوية الثقافية للإسلام لا ترفض الانفتاح والتفاعل البناء مع الثقافات الأخرى، بل العكس من ذلك ان مفهوم الإسلام قام على ركائز عديدة كان أبرزها الشمولية في تعدد الثقافات والقوميات والأجناس في عملية تفاعل طبيعية - إنسانية - دينية لا تقف عند حدود التعصب، والكراهية، وأتشدد، وما إلى ذلك.
- إن تأكيد الإسلام على الهوية الثقافية والدعوة إلى صيانتها والحفاظ عليها وتعزيزها، ومسالة الحجاب نموذجا لذلك، فهي ليست دعوة إلى العزلة والانكماش، وبالتالي فان الهوية الإسلامية هي لبست ضد كل ما هو أجنبي، أو تدعو إلى التقوقع أو الدة إلى الوراء. فهناك الكثير من القرارات والنماذج الإسلامية الثقافية والعلمية والتقنية الأجنبية استفاد منها المسلمون في عهد النبي ﷺ ووضعها في خدمة التنمية والتقدم.
- قد يكون المجتمع الإسلامي بكافة أطيافه وأنواعه عرضة لمؤثرات الغزو الثقافي. ولكن من الصعب ان يكون موجها على وجه التحديد على المرأة من حيث التأثير والتوجه، وخاصة وان المرأة هي من أهم الشرائح التي تؤلف المجتمع. ومما يضاعف تأثير هذه الثقافة الموجهة هي البيئة الاجتماعية المحلية التي تدفع المرأة المسلمة العربية إلى التبعية للثقافة الغربية بفهم خاطئ وممارسة سطحية لقيم الدين وشرائحه التنويرية، فتصبح المرأة ناجحا لترويج الثقافة الغازية.

هوامش البحث

(١) محمد جابر الانصاري، لا الحجاب ولا السفور من صميم نهضة الأمة، جريدة الحياة، العدد ٧٥٩٨٤١، كانون الثاني ٢٠٠٤.

(٢) الحجاب، مجلة البيان، العدد ١٣٧، لندن، ٢٠٠٤. للمزيد من التفاصيل عن حقوق المرأة المسلمة.

(٣) سورة الاحزاب، الآية ٥٩.

(٤) سورة النور، الاية ٣١.

(٥) رواه ابو داود (١/٥٤) والترمذي (١/٣٦٨).

(٦) سورة الاحزاب، الاية ٣٧.

(٧) الانترنيت، مجموعة خطب السيد علي الخامنئي، الغزو الثقافي، ترجمة علي الكسار

(٨) سورة التوبة، الاية ٧١.

(٩) نقلا عن:- الحجاب، المصدر السابق، ص٢٥.

(١٠) الحجاب، المصدر السابق. ص٢٣.

(١١) للمزيد من التفاصيل ينظر: مجموعة باحثين، تاريخ تركيا وايران، بغداد، ١٩٨٦.

(١٢) الانترنيت، موقع السيد سامي خضره، آداب الحجاب الإسلامي.

(١٣) جواد الكسار، الغزو الثقافي والتبادل الثقافي، مركز نون للتأليف والترجمة، ٢٠٠.

(١٤) نقلا عن: د. محمد محمد حسن، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، بيروت، ١٩٧، صص ٢٠٣-٢٠٤.

(١٥) جاك فريمو، فرنسا والإسلام، ترجمة هاشم صالح، دار الأرض للنشر قبرص، ١٩٩١، صص٢٦٦-٢٨٩.

(١٦) ثائر الدوري، من جديد عن الحجاب، والتقدم، والتأخر، والغزو، مجلة الحوار المتمدن الالكترونية، العدد، ١٢٣١، ٢٠٠٥.

(١٧) للمزيد من التفاصيل ينظر: د. سؤدد كاظم مهدي، قانون حظر الحجاب في فرنسا، مجلة العرب والمستقبل، العدد، ٢٣، مركز الدراسات الوطن العربي، ٢٠٠٤.

(١٨) جريدة الحياة، لندن، العدد ٧٥٩٨٦، لندن، شباط، ٢٠٠٤

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) جواد الكسار، المصدر السابق، ص٢٣.

(٢١) الانترنيت، محمد حسين فضل الله، الشباب والغرب بين الأصالة والمعاصرة.

(٢٢) احد محمد اللويمي، دور المرأة في الغزو الثقافي بين التمهيد والمقاومة: الحجاب، المصدر السابق، ص٣٧.

(٢٣) نقلاً عن: الحجاب، المصدر السابق، ص٣٩.

(٢٤) سورة البقرة، آية ١٢.

(٢٥) الانترنيت، عماد الدين موسى، الاستعمار الثقافي والغزو الفكري والتبعية الحضارية.

(٢٦) سورة محمد الآية ٣٨.

(٢٧) الانترنيت، شبكة النبأ المعلوماتية، ختام محمد، خطر الغزو الإعلامي والثقافي على المجتمع العربي.